محاكمة «آدم» و«حواء»

في جلسة سرية

للدكتور زكي مبارك

بين المحسوس والمعقول

سنجد في حديث اليوم أن الله ظهر «لآدم» و«حواء» بصورة حسية، وذلك يخالف العقيدة الإسلامية، فكيف نقبل تلك الصورة مع تنزيه الله عن أن تراه الأبصار؟

الحل سهل: فنحن نلخّص كتاب شيث بن عربانوس، وهو كتاب وُضعتْ أصوله في عهود فطرية لا تُدرك المعقولات إلا عن طريق المحسوسات، فهي لا تتمثل الله إلا بصورة حسية تراها العيون

وما وقع في كتاب «شيث» وقع مثله في النسخة الموجودة بين أيدي الناس من «التوراة»، فعبارة التوراة صريحة في أن الله ظهر لآدم، وأن آدم وامرأته اختفيا بين أشجار الجنة حياء من ملاقاة الله وجهاً لوجه بعد العصيان

وعلى فرض أن التوراة الموجودة بين أيدي الناس هي التوراة الحقيقية، وأنها لم تُصَب بتحريف ولا تبديل، فمن الممكن أن ترجع نصوصها إلى الاستعارة التمثيلية، كما صنع المفسرون حين وجدوا في القرآن ألفاظاً لا تساير الروح الإسلامي إلا بعد التأويل.

والواقع أن الإنسانية في عهودها الفطرية جسّمت جميع المعاني، فقد جعلت لله وجهاً ويدَيْن، وصورته بألوان لا نرضاها اليوم، بعد أن ارتقت العقول فصار من السهل أن تؤمن بأن الله ليس كمثله شيء، وأنه فوق ما تتصور الأوهام والظنون

وما سُقنا هذا التمهيد لقراء (الرسالة) وهم من الخواص، وإنما أردنا أن نحرر الموقف تحريراً يرفع من طريقنا جميع العقبات لنصل إلى الغرض بسلام وأمان

الجلسة السرية

ازعج فريق من الذين حضروا الجلسة حين طلب آدم أن يحاكم في «جلسة سرية»، وأخذ منهم الغيظ كل مأخذ حين أجابه الله إلى ما طلب، فقد كانوا يشتهون أن يُشبعوا ما انطوت عليه جوانحهم من شهوات الفُضول، وكانوا يتوقون إلى معرفة ما سيدافع به آدم عن نفسه في ذلك المقام الرهيب، وربما كان فيهم من تسوقه ثائرة الحقد إلى رغبة التشفي من آدم وهو مأخوذ بجريرة العصيان

جزع آدم

كان الخوف من شماتة الحسود هو الذي حمل آدم على طلب الجلسة السرية، وفاته أن يذكر أن لعلنية الجلسة حكمة عالية، فهي تدعو القاضي إلى التلطف في الاستجواب، ترفقاً بمن يحاسَب أمام جماهير لا تخلو من أعداء وأغبياء، وفاته أيضاً أن يذكر أنه سيقف وحده أمام قاضيه، والوحدة رهبة تُزيغ البصر وتَعقل اللسان

آدم يقف وحده أمام الله في جلسة سرية؟!

وأين المحرّضون على المعصية وهم ثلاثة شُخُوص: إبليس والحية وحواء؟

وأدرك شهرزاد الصباح أو المساء على قصة أخرى تُمثَّل اليوم مع العقاد لأن خصومته قد تشبه خصومة الدكتور طه حسين قبل سنوات

فما الرأي في تمثيلية تشتمل على فصول كهذه الفصول؟ أليس في التمثيل هوى لصاحبنا الحكيم؟

قد يدري القارئ الآن ما أدريه وما يدريه الدكتور طه وما يدريه العارفون وأوشك أن يدريه غير العارفين. فلا «يصعب عليهم» كما صعب على مولانا الحكيم!

عباس محمود العقاد

فإن كان الله يريد إقامة العدل فليطلب حضور المحرّضين ليلقوا جزاءهم على التحريض

وما كاد هذا الخاطر يطوف بقلب آدم حتى صاح الهاتف :

— آدم ، لا تجمع بين المعصية والجهل

— أنا من العصاة ولستُ من الجاهلين

— إن اعتراضك على الله هو الغاية فى الجهل

— أنا لا أعترض على الله ، ولكنى أطلب إقامة العدل

— وما العدل عندك ؟

— هو أن يحاسَب المحرضون قبل أن أحاسَب

— ومن هؤلاء المحرضون ؟

— الحية وإبليس وحواء . ومهما يكن فلا أقل من أن يحاكم إبليس اللعين

— أترك إبليس فى غفوته ، يا آدم ، ولا توقظ الشر الوسنان

— لا بد من محاكمة هذا اللعين على التحريض

— إبليس لعين ؟

— بشهادة الله

— وكيف انخدعت بأحابيله وأنت تعرف أن الله شهد بأنه لعين ؟

— تلك هفوة أوقعنى فيها الجدُّ العاثر

— آدم ، لا تجمع بين المعصية والجهل

— أراك تكرر هذه العبارة ، أيها الهاتف ، فماذا تريد ؟

— أريد القول بأن الله لم يعلن غضبه على إبليس إلا لحكمة سامية

— وما تلك الحكمة ؟

— هى أن يرفع النشاوة عن أصحاب الغرور والغفلة والانخداع

— أوضح ، أيها الهاتف

— إن الله سخّر إبليس لامتحانك ، يا آدم ، وشاءت رحمته بك أن يعلن أن إبليس شيطانٌ رجيم ، لتنقطع حجتك فى الانخداع أو لتأخذ الحيطة لنفسك فتحترس من ذلك الناصح الظنين ... فإذا استطاع إبليس على سوء سمعته أن يجرّك إلى العصيان ، فكيف يكون حالك لو كلّف الله بامتحانك أحد الملائكة المقرّبين ؟

— آه ، آه ، آه ، صعقتنى أيها الهاتف !

— ما صعقتك ، ولكننى نصحتك ، فاترك إبليس فى غفوته ، ولا توقظ الشر الوسنان

— وماذا يقول إبليس لو ألححتُ فى محاكمته على تهمة التحريض ؟

— سيصمُت صمت الأموات

— لماذا ؟

— لأنه على رأس الشُّرطة السِّرية

— هو إذاً جاسوس ؟

— إن كانت هذه اللفظة تشفى غليلك فاملأ بها مسامع الأرض والسماء !

— أراك تعطف على إبليس مع أنه شاقّ الله بعناد وكبرياء

— لا يستطيع مخلوق أن يشاقّ الله ، ثم يترك له الله أى فرصة للتمتع بنعمة الوجود

— أيرضى الله عن تزغات إبليس ؟

— لو أعلن رضاه لضاعت الفرصة فى امتحانك

— إن رأسى يدور من هول هذا المنطق

— كنت أنتظر أن يدور رأسك من هول ما صنعت بنفسك

— وماذا صنعتُ بنفسى ؟

— انخدعت بنصيحة مخلوق كتب الله عليه اللعنة إلى يوم الدِّين ، فكيف يكون حالك لو خدعك مخلوق غير ملعون ؟ إن إبليس فضح نفسه حين قصر دعوته على العصيان ، وكان فى ذلك ما يكفى لرفع النشاوة عن عينيك

— آه ، آه ، آه ، صعقتنى أيها الهاتف !

— وسأصعقك مرة ثالثة فأقول : إنك شهدت على نفسك بالغفلة والحق حين انخدعت لمخلوق مفضوح ، فقد أعلن على رءوس الأشهاد أنه سيزيّن لك وذريتك وأنه سيغويكم أجمعين ، فما دفاعك عن نفسك وقد سلسل الناموس بأن إبليس غريمك وأنه سيصرعك حين يستطيع ؟ ما دفاعك وقد وضعت قدميك فوق أشواك سمعتْ أخبارها أذناك ، ورأتها عيناك ؟

١٨ ٠ ٣٢

— وترى أيها الهاتف أن سكت فلا أطلب محاكمة إبليس على التحريض ؟

— ذلك ما أراه ، فأنا أخشى أن يظهر لسكان الفردوس أن إبليس أشرف منك

— أشرف مني ؟ وكيف ؟

— لأنه خادعٌ وأنت مخدوع ، فإن لم يكن أشرف منك فهو أقوى منك ، والقوة من علائم التشريف

— وألقى الله وحدي وجهاً لوجه في هذا المقام الرهيب ؟

— كما لقيته وحدك وجهاً لوجه حين عصيته

— أكان الله يراني عند العصيان ؟

— ألم تكن تعرف أنه يراك ؟ إن أوزارك بالجهل أوزارٌ ثقال!

— يظهر أني سأخسر القضية في ساحة العدل

— لا خسران في ساحة العدل ، فستفوز بأعظم ربح وهو التأديب

— أترك الحية وأترك إبليس ، واكتفي بحضور حواء

— لتحاسَب ؟

— لتشهد محاسبتي ، فقد يرى كرم الله أن يعفيني من الذل فما تكرم امرأةٌ زوجها إلا إذا كان من الأعزاء ، وما أحسب الله يريد أن أهان

يوم الحساب

— من أنت يا هذا ؟

— عبدُك آدم

— وما تلك بيمينك ؟

— أمَتُك حواء

— وفيم حضرتما ؟

— لنقول : « ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »

— من علّمكما هذا الأسلوب من المتاب ؟

— هو بعض ما تلقينا من فيض هدايتك الربانية

— وما الذي كان يمنع من إعلان هذا المتاب بحضور سكان الفردوس ؟

— منع من ذلك الخوف من رفض هذه التوبة على مرأى ومسمع من الخلود

— ولكن الخلود خلقٌ من خلق ، ومن حقهم أن يشمتوا بالآثمين

— هذه بداية مرعبة ، وأنا أدعو الله أن يتفضل بإمهالي يوماً أو يومين لأستعد للدفاع

— أمهلتك أسبوعاً

وخرج آدم من الجلسة السرية وهو موقن بأن الأمل في نجاته عزيز المنال !

فما الذي سيقع بعد أسبوع؟ وهل يُفلح آدم وهو صاحب حواء؟ نسأل الله الصفح عن آدم ، فما عرفناه إلا فتّى وهّاج الروح والفؤاد

« للحديث أشجان وشجون »

زكي مبارك

عبقرية محمد

بقلم الكاتب الكبير الأستاذ

عباس محمود العقاد

في هذا الكتاب تتجلى عظمة محمد القدسية على ضوء علم النفس الحديث من نواحيها المختلفة التي تناول عبقريته عليه السلام في أصول الدعوة وفنون الحرب والسياسة والادارة وفي باب البلاغة كما تناول علاقاته الأبوية والزوجية وعلاقاته في حياته الخاصة والعامة بالأصدقاء والأتباع والمرؤوسين مع نبذة مفصلة عن شخصيته الخالدة ومن مكانه في تاريخ العالم .

فهو كتاب جديد في موضوع خالد يقرأه طالب الدين ، وطالب العلم ، وطالب التاريخ . ولا يختص بقراءته المسلمون دون سائر القراء من مختلف الأديان .

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى

بشارع محمد علي بمصر — ومن عموم المكاتب الشهيرة

وثمن النسخة ١٥ قرشاً — عدا أجرة البريد ٢ قرشان